

المفاهيم الكلية النّاطمة للعمل السّياسيّ للمرأة في الدّراسات المعاصرة كتاب "المرأة والعمل السّياسيّ" نموذجاً

عصام عبد المولى^a

المخلص: تُعرض هذه الورقة البحثية أهمية تناول القضايا المتعلقة بالمرأة المسلمة بطريقة تراعي المرجعية الفريدة للأمة الإسلامية، من خلال منهجية مؤسّسة على المفاهيم الكلية التي هي أحد أهم أركان النموذج المعرفي الإسلامي، ويأتي على رأس تلك المفاهيم مفهوم التوحيد، الذي تمتاز به الأمة الإسلامية، حيث لا يقتصر هذا المفهوم على الشعار الشكلي الخاص بالمسلمين، بل يدخل في أعماق التفكير ليعكس طريقة في التعامل مع قضايا المرأة متوائمة مع النظرة الكلية الإسلامية. وتبين في نهاية البحث تميز المفاهيم الكلية الإسلامية التأسيسية عن المفاهيم الغربية، وبالتالي أهمية مناقشة قضايا المرأة بمنهجية مختلفة عن المنهجية الغربية المادية القائمة على أسس وضعية، مع إضفاء البعد القيمي في التعاطي مع دراسات المرأة.

الكلمات المفتاحية: النموذج المعرفي، الفلسفة الحاكمة، المفاهيم الإسلامية، التوحيد، المرأة، العمل السياسي.

^a Araştırmacı, İslam Düşüncesi ve Çağdaş Araştırmalar Derneği
dr.isam.abdulgola@gmail.com

Macro Concepts Governing Women's Political Activities in Contemporary Books The "Women and Politics" Book as a Model

ISAM ABDUL MOLA

Geliş Tarihi: 23.08.2023 | Kabul Tarihi: 21.10.2023

Abstract: This paper discusses the importance of addressing the issues related to Muslim women in a manner that takes into account the unique reference that the Islamic Ummah (nation) upholds. An approach that needs to draw upon macro concepts-dependent methodology; as such concepts constitute one of the most deeply-rooted and crucial pillars of the Islamic epistemological model, with the concept of Tawheed (unification or oneness of God) that characterizes the Islamic Ummah, standing at the top. A concept that goes beyond and is not limited to the outward disposition of Muslims. It rather goes into the depths of their thinking, reflecting a way in terms of which women's issues are approached in parallelism with the Islamic holistic outlook. The researcher concluded that the foundational Islamic concepts stand distinct from the Western concepts. Therefore, when it comes to discussing women's issues, it is important to uphold a methodology different from the materialistic Western man-made one. This is while bringing a value-based dimension into the discussion of studies dealing with women.

Keywords: Epistemological paradigm, governing philosophy, Islamic concepts, tawheed, women, political activity.

المقدمة

الحديث عن المرأة المسلمة وقضاياها حديث ذو شجون؛ إذ كثرت فيه الدراسات المعاصرة العامة من جهة، والدراسات ذات الخلفية الفقهية من جهة أخرى، واحتدّ فيها النقاش بين موسع، ومضيق، وبين فريق متوسط.

ويغلب على معظم تلك الدراسات -ولاسيما الإسلامية- تجاوز قضية بحثية محورية، ألا وهي أثر الفلسفة الحاكمة والمنطلقات العقديّة والمفاهيم الكلية التأسيسية على اتجاه الدراسة، وهذا الأمر يضبط القضية المناقشة بأطر معرفية تعكس الخصوصية الذاتية الإسلامية، ويُبعدها أيضاً أن تكون بمثابة ردّ فعل منفعل على دراسات أخرى معاكسة، فهو يجعلها في سياقها الطبيعيّ البحثي، بغض النظر عن الاتجاهات السائدة في تناول القضية، لاسيما الدراسات الغربية "الاستفزازية".

ومن غير الانطلاق من تلك النقطة المركزية ستظل الدراسات عائمة في الفضاء الفكري، وغير منضبطة، وتتجاوزها الإطارات المعرفية الوافدة، والتي بلا ريب ستفرض رؤاها واتجاهاتها البحثية على المسألة المناقشة، وبطريقة غير مباشرة ستفرض نتائجها أيضاً وتعممها في بيئة غير مشابهة لها، وبعبارة أخرى **علمنة القضية**.

إنّ الانطلاق في مناقشة القضايا الحساسة من الخصوصية المعرفية الإسلامية يؤسس للبعد الوجودي الإسلامي، الذي يتمتع بكينونة خاصة به، إذ هي مرتبطة بمرجعية السماء (الوحي)، والتي لخصتها الآية الكريمة: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

سيناقش الباحث في هذه الورقة أهمية تناول المفاهيم الكلية الإسلامية الناظمة للعمل السياسي للمرأة في الكتب الحديثة المعاصرة، وذلك من خلال نموذج عملي تطبيقي افتتح حديثه عن المرأة وعلاقتها بالشأن العام السياسي من خلال هذا البعد الوجودي، فكانت المفاهيم الكلية انطلاقة معرفية للدراسة، والنموذج العملي التطبيقي المنشور هو كتاب **"المرأة والعمل السياسي"** للدكتورة هبة رؤوف.

وتظهر أهمية الدراسة في كونها تُسهم في تمكين الإطار المرجعي الإسلامي في تناول القضايا الحساسة بالمرأة، وذلك من خلال تقديم رؤية لفهم قضايا المرأة مؤسّسة على الإطار المعرفي الإسلامي لا الغربي الوافد، وبالتالي بيان تميز الإسلام في تناول المسائل الحيوية المتعلقة بالمرأة.

أما الأهداف المتعلقة بالبحث فهي:

- بيان تميز المفاهيم الكلية الإسلامية التأسيسية عن المفاهيم الغربية.

• مناقشة قضايا المرأة بمنهجية مختلفة عن المنهجية الغربية المادية القائمة على أسس وضعية.

• التركيز على أهمية البعد القيمي في دراسات المرأة.

ولا بد من بيان أن فكرة البحث تقوم على التركيز على بيان أهمية الأسس والمفاهيم التأسيسية في الانطلاق نحو الدراسات المعاصرة المتعلقة بالعمل السياسي للمرأة، وبالتالي فإن البحث غير معني ببيان تفاصيل تكون المفاهيم، وأنواعها، إضافة إلى عدم الخوض في تفاصيل العمل السياسي وأنواعه أيضاً.

وبناء على ما سبق، فستقتصر خطة الدراسة على محورين اثنين:

الأول: المفاهيم الكلية التأسيسية في الدراسات المعاصرة

الثاني: المفاهيم التأسيسية للمرأة في العمل السياسي: التوحيد نموذجاً

1.1 المفاهيم الكلية التأسيسية في الدراسات المعاصرة:

سيتناول هذا المطلب بيان المفاهيم الكلية التأسيسية في مناقشة القضايا المطروحة، وتقديم الرؤى المتعلقة بها، وسيكون هذا المطلب مؤلف من نقطتين، الأولى مفهوم النموذج المعرفي، والثانية بيان أهميته في تناول المسائل البحثية.

1.1.1 مفهوم النموذج المعرفي:

عَرَّف د. عبد الرحمن بدوي **المنهج** بأنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تُهيم على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معينة"¹. وتلك القواعد المنصوص عليها في تعريف المنهج هي المسؤولية عن تحديد العمليات البحثية، وبالتالي فهي قواعد منطقية ومنظمة يستشرد بها العقل وصولاً إلى النتائج المحددة أو وصولاً إلى ما يُسمى بالحقائق العلمية².

أما **التعريف الإجرائي** للمنهج فيقصد به "الإطار الذي توضع فيه البيانات والمعلومات ويتم تنظيمها ومعالجتها والتعامل معها من حيث إخضاعها لإجراءات معينة، والتعامل معها بأساليب محددة"³.

والذي يعنينا من التعريف العادي للمنهج أو التعريف الإجرائي وجود قواعد في ذهن

¹ عبد الرحمن، بدوي، *مناهج البحث العلمي*. الكويت: وكالة المطبوعات، 1977، 9.

² حامد، عبد الماجد، *مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية*. مصر: جامعة القاهرة، 2000، 17.

³ عبد الماجد، *مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية*، 17.

الباحثين تُهيمن على العقل في تعاطيهم مع المشكلات البحثية قيد الدراسة، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن مع ذكر كلمة "قواعد": هل هذه القواعد حيادية عن الخلفية العقديّة للباحث، عصيّة عن الأدلجة، أم منبثقة عن الأسس الفكرية للتيارات العقديّة؟

الإجابة على هذا السؤال تكون من خلال بيان **مستويات المنهجية**؛ وقد بين د. حامد عبد الماجد أن هناك اتفاق على أن للمنهجية ثلاث مستويات، **الأول** هو الإطار المعرفي الفكري والفلسفي، **والثاني** طرق البحث وخطواته التي يطبقها الباحث في سيره على طريق البحث العملي، من وصف الظاهرة، وتحليلها... أما **المستوى الثالث** للمنهجية فهو أدوات البحث وإجراءاته. ويُعد الإطار المعرفي والفلسفي الخلفية الأساسية العامة التي ينبع منها المستويان الآخران للمنهج⁴. ومن هذه الزاوية سيقوم الباحث بالتركيز على المستوى الأول فقط لشديد أهميته وصلته الواضحة بفكرة البحث.

وبداية يُطلق على المستوى الأول عدة تسميات وتوصيفات، من أهمها: الإطار المعرفي، الإطار الفلسفي، ما قبل المنهج، النموذج الأشمل⁵، ويطلق عليه أيضاً الإطار المرجعي، النموذج الفكري الأساسي، النموذج المعرفي⁶، الأسس الفلسفية، المفاهيم الكلية، الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه⁷. ويشتهر هذا المستوى باللغة الإنكليزية بمصطلح "Paradigm" إذ إنه يُذكر بشكل لصيق عند الحديث عن المستوى الأول.

وقد عرّف كثير من الباحثين المعاصرين **النموذج المعرفي** بتعاريف متقاربة، أغلبها مستقى من تعريف "توماس كون" المنشور سنة 1962 في كتابه "بنية الثورات العلمية"، الذي بين أن لكل علم له Paradigm منظور فكري يحدد فلسفة العلم وقضاياه الكبرى ومناهجه المحورية وأسئلة البحث الجوهرية⁸.

وبغض النظر عن الملاحظات حول ضبابية تعاطي "توماس كون" مع فكرته، أو تعدد دلالاته؛ حيث استخدمه هو باثنتين وعشرين دلالة! أو حتى النتيجة التي وصلت إليها الباحثة

⁴ عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، 17-18.

⁵ عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، 17.

⁶ إبراهيم البيومي، غانم، مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية، (مصر: دار الكلمة، 2022)، 63-64.

⁷ عزت، هبة رؤوف، عزت، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)، 44.

⁸ عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، 81؛ إبراهيم البيومي، مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية، 64.

Margret Masterman من كون المفهوم غامضاً⁹، بغض النظر عن كل ما سبق، ومن خلال التكامل المعرفي اللاحق على الجهود الأولى المتعلقة بالمصطلح فقد بين بعض الباحثين أن "النموذج المعرفي" يُعد نافذة ذهنية يُنظر من خلالها الباحث إلى العالم المحيط به، ويحدد له مفاهيمه الأساسية، والنظريات التفسيرية الكبرى التي تحظى بالشرعية العلمية في حقبة تاريخية معينة.¹⁰

وقد قامت جهود بحثية غربية متنوعة منذ منتصف القرن الثاني حول النموذج المعرفي Paradigm، تلتها جهود إسلامية أخرى لتجلية كنه هذا المصطلح، لعل من أهمها الجهود البحثية التي افتتحها المعهد العالمي للفكر الإسلامي⁽¹¹⁾، لا يتسع المقام لتلخيص الدراسات السابقة حول النموذج المعرفي، لكن إذا أردنا أن نستخلص الكلمات المفتاحية المركوزة في النموذج المعرفي Paradigm من خلال تعريف العلماء المتخصصين بالنموذج المعرفي، سنجد أنه مؤلف من كتلة من المفاهيم تتضامن فيما بينها لتشكيل المصطلح، ومن أهم الكلمات الجوهرية المشكّلة للنموذج المعرفي: تصور فكري، مسلمات، مفاهيم أساسية، مفاهيم كلية، مضامين أخلاقية، مضامين فلسفية، مضامين عقديّة.

2.1. أهمية النموذج المعرفي.

إنّ أهمية النموذج المعرفي يتجلى من خلال الفكرة الأساسية التي انطلقت منها د.

⁹ نصر، عارف. *إبستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعرفي، النظرية والمنهج*، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2002)، 58.

¹⁰ إبراهيم البيومي. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*، 64.

¹¹ أهم المراجع المنشورة المعنية بالنموذج المعرفي حسب أقدمية النشر:

- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، بحوث المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، 1990م.
- قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، إعداد 13 باحثاً، تحرير د. نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م.
- نحو نظام معرفي إسلامي، حلقة دراسية بتحرير د فتحي الملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2000م.
- إبستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، د. نصر محمد عارف، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2002م.
- الفلسفة السياسية، د. أحمد داود أوغلو، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م.
- النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، د. عبد العزيز بوشعير، منتدى المعارف، بيروت، 2014م.

هبة رؤوف عزت في بحثها المتعلق بالمرأة والعمل السياسي؛ حيث صرحت بأنه يتعامل كل مجال من مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة -والعلوم السياسية خاصة- مع مفاهيم تُعتبر في نظر واضعيها من أساسيات المعرفة في ذلك المجال، وسواء أكانت هذه المفاهيم كلية أو جزئية فإنها تمثل الأساس الذي يقوم عليه البناء المعرفي لهذه الدراسات.¹²

والملاحظ في كثير من الدراسات العربية المعاصرة ولاسيما الإسلامية افتقارها في كثير من فروع العلم لتحديد المفاهيم الكلية، أو ما قبل المنهج، أو الأسس الفلسفية التي ينطلق منها العلم، والتي تمثل المسلمات الكامنة وراء المناهج والاقترابات في العلوم المختلفة التي تسبق عن نموذج معرفي ما¹³.

وإذا أردنا بناء رؤية إسلامية -في أي قضية من القضايا- متميزة عن الرؤية الغربية الوضعية فإن علينا مناقشة الأسس المعرفية والمفاهيم ومقارنتها، وهو ما يتميز بأنه يقدم نظرة شاملة كلية للرؤية الإسلامية في القضية محل الدراسة، ترددها للأصول وتلحق الجزئيات بالكليات، كما أن هذه الرؤية البحثية تتجاوز موقف الدفاع عن الذات إلى محاولة تقديم تصور ذاتي كلي يواجه التصورات الوضعية دون أن يهملها أو يتجاهلها¹⁴.

إن اختلاف مصادر المعرفة بين المسلمين وغيرهم هو المبرر الموضوعي في تكوين الذات الخاصة؛ إذ إن اقتصار المنظومة الغربية على عالم الشهادة من خلال المنهج التجريبي Empiricism اقتصار غير مبرر مع محدودية الحواس في التقاف المعرفة، ويأتي عالم الغيب كمصدر محوري في التعامل مع المعرفة، وكما ذكر د كمال المنوفي: "نحن إزاء طرق متعددة للمعرفة لعل أكثرها استخداماً في العلوم الاجتماعية هي الطريقة العلمية Scientific Method التي تزوج بين التجريب والتجريد مع مسحة إيمان"¹⁵.

"ويجب أن نتذكر دائماً أن القرآن مطلق، هو كلام الله، وأن العقل محدود ونسبي"¹⁶، ولتلافي هذه المحدودية لا مناص مع الاعتماد على الوحي.

¹² سيف الدين، عبد الفتاح، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر، (عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 200)، 61؛ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 43.

¹³ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 43-44.

¹⁴ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 43.

¹⁵ كمال، المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة، (مصر: جامعة القاهرة، 2006)، 20.

¹⁶ عبد الوهاب، المسيري، في أهمية الدرس المعرفي، (عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2000)، 53.

وتظهر أهمية استحضار النموذج المعرفي لدى الباحثين في القضايا المناقشة بما يحتويه من مكونات مفاهيمية جوهرية في كونه:

• يحدد للباحثين المفاهيم الأساسية الإطارية التي ستم تناول المشكلة البحثية من خلالها¹⁷.

• يؤخذ كأساس للفهم والتفسير؛ ليس فقط عند إجراء البحوث والدراسات العلمية الاجتماعية والسياسية، وإنما أيضاً في إدراك الفرد لكثير من وقائع الحياة اليومية التي يعيشها¹⁸.

• يؤثر في اختيارات الباحث للموضوعات التي يهتم بها، وفي كيفية إدراكه للأشياء والوقائع المتصلة بتلك الموضوعات¹⁹.

• يؤثر في تحليلات الباحث للمسائل البحثية، وفي رؤيته لكيفية التعامل معها²⁰.

• لا تقتصر أهميته في البحث العلمي فقط، بل أيضاً في بناء النظريات وتطوير منهجيات البحث، وحتى نقف على خلفيات المناهج والنظريات وأسسها الفكرية يتوجب على الناظر أن يعرف الهيكل العام للنسق المعرفي الذي يُضفي الشرعية على مجموع طرق البحث العلمي، إضافة إلى النظرية التي تتحرك هي ذاتها في إطار مرجع، أو نموذج معرفي أساسي²¹.

هذا وقد لخص د عبد الوهاب المسيري بعبارة محكمة أهمية **الدرس المعرفي**؛ حيث نص على أن الدرس المعرفي مهم في كل العصور؛ فكل إنسان شاء أم أبى يستخدم نماذج معرفية، تحتوي مسلمات كلية ونهاية، وذلك في أثناء أبسط عمليات الإدراك، بوعي أو بدون وعي... الدرس المعرفي حتمي ومهم، هكذا كان دائماً²².

نعود إلى فكرة البحث: ما المفاهيم الكلية الإسلامية الصرفة، المستبطنة في النموذج المعرفي الإسلامي، والتي يجب أن تنطلق منها الدراسات المتعلقة بقضايا المرأة؟ هذا ما سأفصله في المطلب القادم.

17 عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، 17.

18 إبراهيم البيومي. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*، 63.

19 إبراهيم البيومي. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*، 63.

20 إبراهيم البيومي. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*، 63.

21 إبراهيم البيومي. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*، 63.

22 المسيري، في أهمية الدرس المعرفي، 57.

2. المفاهيم التأسيسية للمرأة في العمل السياسي

أكدت الدكتورة منى أبو الفضل أن المفاهيم الكلية ليست إلا اللبنة التي منها تؤسس المنهجية، ومن ثم فما من عمل منهجي إلا ويكون قوامه عملية التأصيل للمفاهيم²³. ويساق التكامل في المفاهيم من جانب الرؤية الإسلامية على مستويات أربعة: يشير الأول إلى التكامل داخل المفهوم الواحد؛ عناصره ومستوياته، بينما يشير الثاني إلى تكامله في منظومة المفاهيم الإسلامية الأخرى بشكل يفرضه طبيعة هذه الرؤية. أما الثالث فهو يشير إلى أن المفهوم الواحد يصلح كأساس للتعبير عن منظومة المفاهيم. والرابع يشير إلى ارتباط كل منظومة المفاهيم بمقصد أساسي، وهو **التوحيد**²⁴.

وصرحت د. هبة بأن قضية المرأة في العمل السياسي لم تتناول من خلال الأدبيات المختلفة إلا بشكل جزئي غير كلي، والنتيجة من جراء هذا التناول عرض الموقف الإسلامي بطريقة مبتسرة مع توافر عنصر الاتهام والتشويه، والمخرج الموضوعي المقترح بناء رؤية إسلامية منطلقة من المفاهيم الكلية المستقاة من الإطار المرجعي والمنظومة المعرفية الإسلامية، وتتلخص تلك المفاهيم الكلية في هذا السياق من خلال **التوحيد والاستخلاف والسنن**²⁵.

لا يتسع المقام في هذه الورقة البحثية لتناول المفاهيم الثلاثة، لذا سيقصر الباحث على المفهوم الأول (التوحيد) من خلال بيان الأفكار الآتية:

- مقدمة عن التوحيد
- أثر غياب التوحيد في تناول قضية المرأة والعمل السياسي
- تقويم الإطار النظري النسوي.

1.2. مقدمة عن التوحيد.

مفهوم "الرب" هو نواة الخبرة الدينية، ويعني الركن الأول من أركان الإسلام (لا إله إلا الله) ببساطة مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم في كل مكان، وفي كل فعل، وفي كل فكرة، وفي كل زمان²⁶.

²³ أبو الفضل، منى، نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات. (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)، 1/197؛ سيف الدين، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، 10.

²⁴ سيف الدين، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، 10.

²⁵ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 47.

²⁶ إسماعيل، الفاروقي، التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي

وجاء مفهوم التوحيد -بحسب الرؤية الإسلامية- مع أول البشر نزولاً إلى الأرض، وكلما طرأ على هذا المفهوم ما يشوهه ويُضعف من حيويته أرسل الله من يحيي هذا المفهوم مرةً أخرى، وبالتالي هو مفهوم بحسب الرؤية الإسلامية - ليس محلاً للتطور الزمني؛ فالتوحيد عند سيدنا آدم عليه السلام هو نفسه لدى سيدنا محمد ﷺ، لذلك كله كان مفهوم التوحيد أحد أهم المفاهيم التي تُؤسس للرؤية الإسلامية المتكاملة، إذ هو أحد المقاصد التي قام عليها الخطاب القرآني الجليل²⁷.

ولابد من التأكيد على أن التوحيد هو المقصد الأعلى لعملية التغيير²⁸، فالعقيدة ليست مجموعة من التصورات النظرية المحضة المنفكة عن الحياة العملية، بل هي منظومة من التصورات الهادفة إلى التأثير في الفعل الإنساني، من خلال مجموعة من القيم والمبادئ والأحكام التي تنبثق من هذه التصورات وترتكز عليها²⁹.

أما التوحيد وعلاقته بالمرأة والعمل السياسي، فقد استفتحت د. هبة حديثها عن مفهوم التوحيد من خلال عدة نقاط³⁰:

- وجب أن يكون تحديد المنهج والمفاهيم السياسية الإسلامية موصولاً بالقاعدة العقدية الأساسية، ألا وهي قاعدة التوحيد.
- ليس التوحيد قيمة عقيدية أو مفهوماً دينياً فقط، بل هو رؤية للكون تنعكس على منهج التفكير ومسلك التفاعل الاجتماعي؛ إذ تعد العقيدة قاعدة الفكر الإسلامي، والذي يتطلق منها ليحدد معالم الإسلام ومعالم الأمة.
- الأصل أن العقيدة لا يعترتها قصور، وبالتالي فإن مسار الفكر يظل قابلاً للمد والجزر، والرشد والغبي، التزاماً بالقاعدة أو انحرافاً عنها، ومن ثبات العقيدة استمد الفكر الإسلامي (رغم تلك الانحرافات) أصالته واستمراريته.
- أهم المفاهيم الغربية في التعامل مع قضايا المرأة (النسوية)، والتي تعد بعيدة كل البعد عن مفهوم التوحيد: "النوع، الجنس، الأبوية"، وهي مفاهيم أساسية في طرح الأسئلة،

للفكر الإسلامي، (2014)، 41.

²⁷ مختار، محسن، مفاهيم في بناء الوعي والسعي، مفهوم التوحيد، (تركيا: مركز الفكر السياسي الإسلامي الإستراتيجي، 2022)، 30-32.

²⁸ سيف الدين، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، 219.

²⁹ لؤي، صافي، العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)، 53.

³⁰ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 48.

والبحث عن الإجابات أيضاً.

وتتضح أهمية مفهوم التوحيد في قضية المرأة والعمل السياسي بدراسة آثار غيابه على تطور النموذج المعرفي، وهو ما سيكون محور الفقرة الآتية.

2.2. غياب التوحيد في تناول قضية المرأة والعمل السياسي:

قامت الرؤية الغربية العلمانية في جذورها المسيحية على فكرتين أساسيتين، (التجسيد، والثنائية)، يقصد بالأولى تجسد الإله في المسيح الابن³¹.

وأما فكرة الثنائية، فتعني انقسام العالم إلى دنيا وآخرة، وانقسام الإنسان إلى جسد وروح، وكذلك انقسام الواقع إلى دين ودولة، مع تقديم أحد الطرفين على الآخر³².

أما التوحيد فهو رؤية عامة للحقيقة وللواقع وللعالم وللمكان وللزمان، ولتاريخ الإنسانية ولمصيرها، ويكمن في لب هذا التوحيد مبادئ متنوعة، يأتي على رأسها الثنائية، لكن بمفهوم مغاير للثنائية الغربية، حيث نرى في هذا الكون نوعان متميزان (إله، ولا إله)، (خالق ومخلوقات)، أما نظام الإله فهو قاصر على الله سبحانه وحده³³.

وتتلخص قواعد التوحيد في أمور ثلاثة، الأول رفض كل ما لا يتطابق مع الحقيقة، الثاني إنكار المتناقضات اللامتناهية، الثالث الانفتاح على البيانات الجديدة والمضادة، وكليهما معاً³⁴.

قد نتج عن الخلفية العقديّة الغربية -المختلفة تماماً، بل والمناقضة للأساس التوحيدي الإسلامي- ظهور تيارين غربيين للتعامل مع القضايا ذات الصلة بالمرأة، التيار الإصلاحية، والتيار النسوي.

عول التيار الإصلاحية على التعديل الداخلي للوضع المتعلق بالمرأة والذي يلخص بظلم المرأة، ورُكز من خلال هذا التيار على الأمور الآتية³⁵:

- تظهير الرموز النسائية في العقيدة.
- رفض مفهوم الأبوية.

³¹ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 48؛ المسيري، في أهمية الدرس المعرفي، 55.

³² رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 48.

³³ الفاروقي، التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة، 52.

³⁴ عبد العزيز، بالشعير. النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي. (بيروت: منتدى المعارف، 2014)،

152.

³⁵ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 49.

- رفض فكرة وجوب طاعة المرأة للرجل.
- طرح فكرة المسيح الأم، باعتبار الرحمة صفة أمومية.

أما التيار الثاني فهو **التيار النسوي**، والذي انطلق من دعواته التغييرية من الخارج لا الداخل، ووضع نصب عينيه **الدين**؛ حيث اعتبره السبب الأساس لتردي أوضاع المرأة. وقدمت النسوية - والتي قد أعلنت عن نفسها كرؤية للعالم - مفاهيم جديدة في العلوم الاجتماعية انطلقت منها كمركزات أساسية لدراسة الواقع الاجتماعي والسياسي، والتي تبين تلك المفاهيم أبعاد نموذجها المعرفي النظري، ومن أمثلة تلك المفاهيم مفهوم "النوع"، الذي يتميز بأنه ثقافي نسبي، في مقابل مفهوم "الجنس"، الذي يتميز بكونه بيولوجي حتمي.³⁶

ما سبق يلخص باختصار أثر غياب مفهوم التوحيد في تناول قضايا حساسة ذات صلة بالشأن العام، والتي من أهمها القضايا المتعلقة بالمرأة، هذا الغياب سيقطع التواصل مع السماء، سيقطع التواصل مع: "ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير".

3.2. تفويم الإطار النظري النسوي:

بعد بيان أهم الأطر العقدية التي انطلق منها الغرب في معالجة القضايا المتعلقة بالمرأة من الضروري تفويم هذا الإطار النسوي الغربي من خلال النموذج المعرفي التوحيدي، ويتلخص هذا التفويم من خلال تناقضات الطرح الغربي، وسأفصل الكلام مع أمثلة متعددة من خلال الأسطر الآتية:

تستبطن النسوية مجموعة لا بأس بها من التناقضات التي تؤثر على الفكرة التي يراد تأسيسها، وتروجها كأسس لتناول قضايا المرأة، وبداية هذه التناقضات من المستوى المعرفي، حيث توجد "المدرسة الإمبريقية النسوية"، إضافة إلى أفكار "ما بعد الحداثة"، وأيضاً "نظرية الموقف"،... ولكل واحدة من هذه المدارس والاتجاهات منطلقات مختلفة عن غيرها ضمن العنوان نفسه: "النسوية"³⁷.

والكتلة الثانية من التناقضات متعلقة بالمقولات المتبناة؛ فهي مثلاً تدعي تحرير الإنسان، لكنها بنفس الوقت تثبت التضامن النوعي، وتطالب بقوة بإلغاء الفروق النوعية في حين تنادي بالوعي النسائي.³⁸

³⁶ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 52.

³⁷ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 53.

³⁸ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 53.

أما الكتلة الثالثة من التناقضات المتضادة فهي على صعيد الحركة؛ حيث نجد "النسوية الراديكالية" المعادية للمشروع الليبرالي، مع وجود "النسوية الاشتراكية"، إضافة إلى "النسوية الليبرالية المحافظة"³⁹.

ومن الأمور اللافتة للنظر، والتي تصب في تأكيد التناقضات المركوزة في النسوية هي "زعم العالمية"، حيث بقي هذا الادعاء العالمي لفظياً شكلياً، وكمثال على ذلك تحديد الباحثات الغربيات ذوات الأصول الأفريقية والآسيوية في بناء النظرية، وهو ما يؤكد سقوط الفكر النسوي في التمرکز حول ذاته، والبعد عن الزعم العالمي⁴⁰.

ويبدو أن محاولة النسوية تجاوز الثنائية الكامنة في النموذج المعرفي الغربي، والتي تجد جذورها في الثنائية المسيحية، لم تؤد إلى توحيد المنظومة، بل إلى مزيد من التفتيش على مستوى النموذج المعرفي الغربي.

ومع محاولة النسوية تجاوز المعرفة الغربية، بل ورفضها إلا أن اعتراف النسوية بكونها مادية، بل (المادية الأكثر اكتمالاً)، يجعلها منغمسة في النموذج المعرفي المادي⁴¹، وبالتالي فإن الدعوات التجديدية لا تعدو أن تكون شكلية عن محضن النموذج المعرفي الغربي.

الخلاصة: لا يوجد اتجاه واحد ضمن طرح "النسوية"، بل عدة اتجاهات، ولكل اتجاه منطلقات ومقولات متناقضة مع مثيلاتها من بقية أطراف "النسوية"، وبالتالي ذات نموذج معرفي مستقل عن قرائنه في البيئة الغربية.

مع كل ما سبق فإن يقظة الباحثين إلى حساسية المفاهيم في تناول القضايا، بل خطورتها، يجب أن تكون في أعلى درجاتها؛ وقد بين د. سيف عبد الفتاح أن المفاهيم تقع في قلب عملية التغريب، لتحقيق مجموعة من الأهداف للتغريب، يأتي في مقدمتها تنحية المفاهيم الإسلامية الأصيلة النابعة من التراث، المستندة إلى الأصول الإسلامية (القرآن والسنة)، وتقديم بدائل لها، أو فرضها فرض الأمر الواقع من حيث تداولها بين الباحثين والدوائر الإعلامية. أما الهدف الثاني فهو يتجه إلى إحداث عملية تشويش على مستوى واسع في إطار مجموعة الدعاوى، بدءاً من التأكيد على مثالية المفاهيم الإسلامية، وعدم قابليتها للتحقيق والتحقق في الواقع المعاش، ومروراً بالنفي لوجود مثل هذه المفاهيم، أو على أحسن الفروض القول بعدم وضوح هذه المفاهيم وتحديدها إن وجدت، وانتهاء

³⁹ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 53.

⁴⁰ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 54.

⁴¹ رؤوف، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، 53.

بتقديم مجموعة من المفاهيم البديلة المتكاملة على أيدي الجماعة العلمية في الغرب... مما يؤدي في نهاية المطاف إلى التسليم من جانب كثير من الباحثين⁴².

النتائج

أهم النتائج المتعلقة بالبحث، والمستفادة من الكتاب الأصلي:

- المفاهيم الغربية في التعامل مع قضايا المرأة غير معيارية في مجتمعات ذات مرجعية معتمدة على وحي السماء.
- سيئج عن غياب النموذج المعرفي الإسلامي عن إدراك الباحثين، رؤية مشوهة للذات من خلال الآخر الغريب الوافد.
- يستحيل التنظير الذاتي الإسلامي ضمن منطلقات ومفاهيم "غربية" متأسسة على الصراع، والنسبية، والوضعية.
- من الأمور المفصلية على المستوى المعرفي انطلاق الدراسات المتعلقة بالمرأة من المفاهيم الكلية الإسلامية.
- تعد قضايا المرأة في الرؤية الإسلامية التوحيدية موضوعاً للدراسة مندرجة تحت النموذج المعرفي الإسلامي ومرتبطة بأصوله، وليست نموذجاً معرفياً مستقلاً كما هو الشأن الغربي.

المصادر والمراجع

- بدوي، عبد الرحمن. *مناهج البحث العلمي*. ط.3، الكويت: وكالة المطبوعات، 1977.
- بوالشعير، عبد العزيز. *النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي*. ط.1، بيروت: منتدى المعارف، 2014.
- اليومي غانم، إبراهيم. *مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية*. ط.1، القاهرة، مصر، دار الكلمة، 2022.
- صافي، لؤي. *العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية*. ط.1. فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996.
- عارف، نصر. *إبستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعرفي، النظرية والمنهج*. ط.1، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، 2002.
- عبد الفتاح، سيف الدين. *النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر*. ط.1، عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2002.

⁴² سيف الدين، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، 61.

عبد الماجد، حامد. مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية. ط. 1، مصر: جامعة القاهرة، 2000.

عزت، هبة رؤوف. المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية. ط. 1، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.

الفاروقي، إسماعيل. التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة. ط. 2، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2014.

أبو الفضل، منى. نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات. ط. 1، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.

محسن، مختار. مفاهيم في بناء الوعي والسعي، مفهوم التوحيد. ط. 2، تركيا: مركز الفكر السياسي الإسلامي الإستراتيجي، 2022.

المسيري، عبد الوهاب. في أهمية الدرس المعرفي. ط. 1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2000.

المنوفي، كمال. مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة. ط. 1، مصر: جامعة القاهرة، 2006.

Badawī, ‘Abd al-Raḥmān. *Manāḥij al-Baḥth al-‘Ilmī*. Ṭ. 3, al-Kuwayt: Wakālat al-Maṭbū‘āt, 1977.

bwālsh‘yr, ‘Abd al-‘Azīz. *al-niẓām al-ma‘rifī fī al-fikrayn al-Islāmī wa-al-Gharbī*. Ṭ. 1, Bayrūt : Muntadā al-Ma‘ārif, 2014.

al-Bayyūmī Ghānim, Ibrāhīm. *Manāḥij al-Baḥth wa-uṣūl al-Taḥlīl fī al-‘Ulūm al-ijtimā‘īyah*. Ṭ. 1, al-Qāhirah, Miṣr, Dār al-Kalimah, 2022.

Šāfi, Lu‘ayy. al-‘aqīdah wa-al-siyāsah, *Ma‘ālim Naẓarīyat ‘āmmah lil-dawlah al-Islāmīyah*. Ṭ1. Firjīniyā, al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkīyah : al-Ma‘had al-‘Ālamī lil-Fikr al-Islāmī, 1996.

‘Ārif, Naṣr. *Ibistimūlūjiyā al-siyāsah al-muqāranah, al-namūdḥaj al-ma‘rifī, al-naẓarīyah wa-al-manḥaj*. Ṭ. 1, Bayrūt : Majd al-Mu‘assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt), 2002.

‘Abd al-Fattāḥ, Sayf al-Dīn. *al-naẓarīyah al-siyāsīyah min manẓūr ḥaqārī Islāmī, manḥajīyah al-tajdīd al-siyāsī wa-khibrat al-wāqī‘ al-‘Arabī al-mu‘āšir*. Ṭ. 1, ‘amān : al-Markaz al-‘Ilmī lil-Dirāsāt al-siyāsīyah, 2002.

‘Abd al-Mājid, Ḥamid. *muqaddimah fī manḥajīyah dirāsah wa-ṭuruq baḥth al-Zawāhir al-siyāsīyah*. Ṭ. 1, Miṣr : Jāmi‘at al-Qāhirah, 2000.

- ‘Izzat, Hibat Ra’uf. *al-mar’ah wa-al-‘amal al-siyāsī ru’yah Islāmīyah*. 1. 1, al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkīyah : al-Ma’had al-‘Ālamī lil-Fikr al-Islāmī, 1995.
- al-Fārūqī, Ismā‘īl. *al-tawḥīd, maḍāmīnihi ‘alā al-Fikr wa-al-ḥayāh*. 1. 2, al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkīyah : al-Ma’had al-‘Ālamī lil-Fikr al-Islāmī, 2014.
- Abū al-Faḍl, Muná. *Naḥwa minhājīyah lil-ta‘āmul ma’a maṣādir al-tanzīr al-Islāmī bayna al-muqaddimāt wa-al-muqawwimāt*. 1. 1, al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkīyah : al-Ma’had al-‘Ālamī lil-Fikr al-Islāmī, 1995.
- Muḥsin, Mukhtār. *Mafāhīm fī binā’ al-Wa’y wa-al-sa’ī, Maḥmūm al-tawḥīd*. 1. 2, Turkiyā : Markaz al-Fikr al-siyāsī al-Islāmī al-istirātījī, 2022.
- al-Misīrī, ‘Abd al-Wahhāb. *fī Ahammīyat al-dars al-ma’rifī*. 1. 1, ‘Ammān: al-Ma’had al-‘Ālamī lil-Fikr al-Islāmī, 2000.
- al-Munūfī, Kamāl. *muqaddimah fī Manāhij wa-ṭuruq al-Baḥth fī ‘ilm al-siyāsah*. 1. 1, Miṣr : Jāmi‘at al-Qāhirah, 2006.